هل يوجد جبل في المدينة النبوية اسمه جبل (ثور)؟ وتحقيق ذلك.

الحمد لله؛ والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ أما بعدُ: فقد كنت أقرأ في حاشية الأنقروي على صحيح مسلم؛ فجاء الكلام عن صحة وجود جبل في المدينة النبوية يسمى بجبل ثور؛ فكان مما نقله الأنقرويُّ: كلامَ ابن الأثير، وفيه إنكار وجود جبل بهذا الاسم في المدينة؛ وذهب يؤول الحديث على غير معناه؛ ويقدر تقديرات محذوفة!! إلخ؛ فرد عليه الأنقرويُّ، وأثبت وجودَ جبلٍ في المدينة اسمُه: (جبل ثور)؛ ثم قال معقبا على كلامِ ابنِ الأثيرِ-: "وليس بجيد تغليط الرواة".

فأعجبني جدا تعبيرُه الحسن، وتعقيبُه المليح، ودفاعُه المستجاد –غفر الله له-؛ ثم تذكرتُ قراءتي عن هذه المسألة قديما؛ فقلت في نفسي: لم لا تكتب عنها شيئا تفيد به نفسَك أولا، وإخوانَك ثانيا؛ ففعلت؛ فقمت بمراجعة المسألة –دون تقصٍّ، وبلا تَتَبُّعٍ-؛ فكانت هذه الكلمات التي بين أيدكم، أسأل الله –عز وجل- أن ينفع بها.

فأبتدِئُ باسم الله –سبحانه-؛ وأقول: لقد أنكر بعضٌ من أهل العلم ممن كتب في السيرة وغيرها –كالحازميِّ والسهيليِّ والمازريِّ وابنِ الأثيرِ،وغيرِهم- وجودَ جبلٍ في المدينة

النبوية يسمى (جبل ثور)؛ وعادوا بهذا الإنكار إلى توهيم الرواة؛ وتغليط الحفاظ، وتخطئة المحدِّثين؛ وجعلوه من أوهامهم! وذهب بعضُهم إلى أن الصحيح هو (جبل أحد)؛ كما جاءت بذلك بعض الروايات! وبعضهم خفَّف الوطأةَ وقال: إن في الحديث مجازا!! إلخ التأويلات؛ لتسويغ إنكار وجود هذا الجبل بالمدينة النبوية!

وفي الحقيقة: يوجد جبل في المدينة اسمه جبل (ثور)؛ وهذا ما رجحه عددٌ كبيرٌ من المحققين من أهل العلم، وصححه جمعٌ غفير من المؤرخين، وغيرِهم.

قال السمهوديُّ: «خفي على جماعة من فحول العلماء فاستشكلوا الحديث، وقالوا: ليس بالمدينة ثور، إنما هو بمكة، ولهذا في أكثر روايات البخاري من عاير إلى كذا، وفي بعضها من عير إلى كذا، ولم يبين النهاية، فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم فأسقطه، وترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ليتبين الوهم، وضرب آخرون عليه».

(وفاء الوفاء) (1/ 194-195).

وقال أبو سليمان الشاذليُّ في كتابه (البيان والانتصار): «قد صحت الرواية بلفظ ثور؛ فلا ينبغي الإقدام على توهيم الرواة بمجرد عدم العرفان، فإن أسماء الأماكن قد تتغير، أو تنسى ولا يعلمها كثير من الناس ... وقد سألت بمكة عن وادي محسّر وغيره من أماكن تتعلق بالنسك، فلم أخبر عنها؛ مع تكرر مجيء الناس إليها، فما ظنك بغيرها؟!

وأيضا فقد يكون للشيء اسمان، فيعرف أحدهما دون الآخر».

نقله السمهوديُّ في (وفاء الوفاء) (1/ 197)، ونقله مختصرا دون تعيين الكتاب، ولا صاحبِه: الزركشيُّ في (إعلام الساجد) ص (228).

وقال الحافظ قطبُ الدين الحلبيُّ في (شرح البخاري) : «حكى لنا شيخنا الإمام أبو محمد عبد السلام بن مزْرُوع البصري أنه خرج رسولا إلى العراق، فلما رجع إلى المدينة كان معه دليل، فكان يذكر الأماكن والجبال، فلما وصلنا إلى أحد إذا بقربه جبل صغير، فسألته عنه فقال :هذا يسمى ثورًا.

قال :فعلمتُ صحة الرواية».

نقله الزركشيُّ في (إعلام الساجد) ص (227-228)، وابنُ الملقن في (التوضيح لشرح الجامع الصحيح) (12/ 503)، والدمامينيُّ في (مصابيح الجامع) (4/ 290)، وابنُ حجر في (فتح الباري) (4/ 82-83)، والسيوطيُّ في (قوت المغتذي) (1/ 493)، والسمهوديُّ في (خلاصة الوفا) (1/ 204)، والصالحيُّ في (سبل الهدى والرشاد) (3/ 319)، وعبدالحق الدهلوي في (لمعات التنقيح) (5/ 464)، وغيرُهم.

وقال المحبُّ الطبريُّ: «أخبرني الثقة الصدوق الحافظ العالم المجاور بحرم رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أبو محمد عبد السلام البصري: أن حذاء أحد عن يساره جانحا إلى ورائه جبل صغير يقال له: ثور.

وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين لتلك الأرض وما فيها من الجبال، فكلٌّ أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور، وتواردت أخبارُهم على تصديق بعضهم بعضا؛ فعلمنا -بذلك- أن ما تضمنه الخبرُ من ذكر (ثور) = صحيح، وعدم علم أكابر العلماء به؛ لعدم شهرته، وعدم سؤالهم وبحثهم عنه. وهذه فائدة جليلة؛ نفع الله -عز وجل- من نفع بإفادتها».

(الإحكام في أحاديث الأحكام) (5/ 81). ونقله -مقرا له-: ابنُ حجر العسقلاني في (فتح الباري) (82/4) وابنُ الضياء في (تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام) ص (238) والسمهوديُّ في (وفاء الوفاء) (1/ 199)، والمرداويُّ في (الإنصاف) (3/ 561)، والسيوطيُّ في (قوت المغتذي) (1/ 493)، والدهلويُّ في (لمعات التنقيح) (5/ 463)، والمغربيُّ في (البدر التمام) (5/ 285)، والسنديُّ في (فتح الودود) (2/ 444)، وغيرُهم، وينظر: (تاريخ معالم المدينة المنورة: قديما وحديثا) ص (228).

وقال الشيخ محمد أبو المليحي: إن المحبَّ الطبريَّ قال: «ثور جبل بالمدينة؛ رأيته غير مرة وحددته». انتهى.

نقله الزركشيُّ في (إعلام الساجد) ص (227-228)، وابنُ الملقن في (التوضيح) (12/ 503)، والدمامينيُّ في (مصابيح الجامع) (4/ 290)، والفيوميُّ في (فتح القريب المجيب) (6/ 264).

وقد رد المطريُّ –رحمه الله– على بعض مَن أنكر وجود ثور، فقال –بعد ذكرِ بعضِ أقوالِهِمْ–: «بلى؛ خلف أحد من شماليه، تحته جبل صغير مدور، يسمى ثورا، يعرفه أهل المدينة خلف عن سلف ... ولو لم يكن معروفا؛ لم يسمه الخلف عن السلف، والله أعلم».

(التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة) ص (182–ت الرحيلي)، وينظر: (وفاء الوفاء) للسمهودي (1/ 199)، و(تاريخ معالم المدينة المنورة: قديما وحديثا) للخياري ص (228)، وحاشية ص (125) من (التعريف) للمطري.

وقال الأقشهريُّ: «وقد استقصينا من أهل المدينة تحقيق خبر جبل يقال له ثور عندهم، فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القدماء دون المحدثين من أهل المدينة، والذي يعلم حجة على من لا يعلم».

نقله السمهوديُّ في (وفاء الوفاء) (1/ 199)، والدهلويُّ في (لمعات التنقيح) (4/ 464)، وينظر: (تاريخ معالم المدينة المنورة: قديما وحديثا) ص (228).

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ: «وثور هو جبل من ناحية أحد، وهو غير جبل ثور الذي بمكة».

(مجموع الفتاوى) (26/ 117).

وقال الفيروزأباديُّ: «قال بعض الحفَّاظ: إنَّ خلف أحد من شماليه جبلاً صغيراً مُدوَّراً يسمَّى ثوراً، يعرفه أهل المدينة، خلفاً عن سلف. وفيه حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– ، «أنه حرَّم ما بين عَيْرٍ إلى ثور»».

(المغانم المطابة) (2/ 191).

ثم قال –بعد أن ذكر من أخطأ في نفي وجود جبل بالمدينة يسمى ثورا–: «ولا أدري كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الأعلام إلى إثبات وهم في الحديث الصَّحيح المتَّفَق على صِحَّتِه بمجرَّد دعوى أنَّ أهل المدينة لا يعرفون بها جبلاً يسمى ثوراً؟.

وغايةُ مثال هؤلاء القائلين أنهم سألوا جماعة من أهل المدينة. ولا يلزم أن يكون كلهم– بعد مضيٍّ أعصارٍ متطاولة، وسنين متكاثرة، فلم يعرفوه.

والعلمُ القطعيُّ حاصلٌ من طريق العِيان المشاهَد، بطروق التَّغير والاختلاف والنسيان على أسماء الأمكنة والبلدان باعتبار أسباب تحدث، وأمور تتجدَّد، فيُلقَّب ذلك المكان باعتبار ما تجدَّد فيه، ويُهجَر الاسم القديم الأصليُّ، ويتركُ العَلَم الموضوع الأوَّل، حين يكون نَسْيا.

أين سقيفةُ بني ساعدة؟ أين ذو الحُليفة الذي لا يُعرف اليوم إلا ببئر علي؟ ولو سمَّاه أحد ذا الحُليفة لكان كالمخترعِ له اسماً، والمُغَيِّر له لقبا ورسما.

وأَغْرَبُ من ذلك أني سألتُ جماعاتٍ من أشراف المدينة الأمراءِ بها، ومن الفقهاء والسُّوقة عن (فَدَك) ومكانِها، فكلُّهم عن بَوَاءٍ واحدٍ أجابوا: بأنه لا يُعرف في بلادنا موضعاً يدعى فَدَك.

وهذه القريةُ لم تبرح في أيدي الأشراف والخلفاء يتداولونَها ناسٌ عن ناس إلى أواخر الدولة العباسية، فكيف بجبلٍ صغيرٍ واقعٍ في طرفِ أُحُدٍ، لا يتعلَّق به كبيرُ أمرٍ؟

هذا وإنَّ قُزَح، مشعرٌ من مشاعر الله تعالى يتعلَّق به مَنْسكٌ من المناسك، لو أراد مريدٌ تعيين مكانه، والوصولَ إلى عِيانه، لأعياه الحال، ولما شفى غليلَه بجواب عنه بعد ألف سؤال؟ دع هذا. أين المُحَصَّب ومحلُّه؟ أين الأبطحُ ومكانه؟ أين بُطحان مَنْزِلُ ذلك الحلفاء؟ أين بئر عُروةَ التي كان يحمل من مائها إلى الخلفاء؟

وأمَّا ثورٌ الذي وقع النِّزاع فيه، فبحمدِ الله معروف بين أهل العلم في المدينة، لا يجهل ذلك إلا من كانت هِمَّتُه في دينه غير بَدينة. وقد قيل: إنَّ بمكة أيضاً جبلاً اسمه عَيْر، ويشهد لذلك بيتُ أبي طالب، حين يقول:

أعوذُ بربِّ النَّاسِ من كلِّ طاعنٍ /// علينا بِشَرٍّ، أو مُحقِّقِ باطلِ

ومِنْ كَاشحٍ يسعى لنا بمعيبةٍ /// ومن مُفْتَرٍ في الدِّين، ما لم نحاولِ

وثورٍ، ومَنْ أرسى ثَبيراً مكانَه /// وعَيرٍ، ورَاقٍ في حراءَ ونازلِ

فيكون المعنى أنَّ حَرَمَ المدينة مقدارُ ما بين عَير إلى ثور.

وكلُّ هذا تعسُّفاتٌ وتخرُّصاتٌ مِمَّنْ لم يبلغهم علم ثور الموجود بالمدينة، والله أعلم».

(المغانم المطابة) (2/ 192-194).

وقال مؤرخ المدينة: السمهوديُّ –بعد أن نقل كلامَ المجدِ مختصرا-: «فدل على أن ما اشتهر في زماننا –وقبله- من وجود ثور بالمدينة له أصل في الزمن القديم، وإن خفي على بعضهم، وقد أخبرني بوجودِهِ جماعةٌ كثيرةٌ من الخواصِّ، وأروني إياه خلف أحد».

(وفاء الوفاء) (1/ 198).

وذكر أبو بكر بن حسين المراغيُّ في (مختصر أخبار المدينة) أن خَلَفَ أهلِ المدينة ينقلون عن سلفِهِمْ أن خَلْفَ أُحُدٍ من جهةِ الشمالِ جبلا صغيرا إلى الحمرة بتدوير يسمى ثورا.

ثم قال: «وقد تحققتُه بالمشاهدة».

نقله عنه تلميذُه: الحافظُ ابنُ حجرٍ العسقلاني في (فتح الباري) (4/ 83).

وقال الخياريُّ: «قد اختلف كثير من العلماء والمؤرخين على وجوده بالمدينة المنورة، وأكد بعضهم عدم وجوده بالمدينة المنورة وقالوا ليس بالمدينة ثور وإنما بمكة المكرمة ... أما الآن فقد أصبح هذا الجبل الصغير المسمى بجبل ثور معروفا عند أغلب أهل المدينة المنورة أنه خلف جبل أحد».

(تاريخ معالم المدينة المنورة: قديما وحديثا) ص (226-229).

وقال عاتق البلادي -بعد أن نقل بعض أقوال أهل العلم في ذلك-: «ما تقدم من نصوص تدل على اجتهاد متقدمينا -جزاهم الله خيرا-، ولكن فيها كثيرا من التشويش، والحقيقة أن بالمدينة ثورا؛ وقفت عليه وحددته».

(معجم معالم الحجاز) (2/ 319).

وقد نقل السخاويُّ -رحمه الله- فائدة عن أبي محمد المضري البصري المكي نزيل المدينة النبوية ومحدثها؛ فقال: "ومن فوائده: أن جبل (ثور) المذكور في حد الحرم المدني جبل صغير، حذاء أحد، ونقله عن طوائف من العرب العارفين بتلك الأماكن. نقل ذلك عنه الجمال المطري في (تاريخ المدينة)؛ وحينئذ فلا وجه لإنكاره».

(التحفة اللطيفة) (2/ 176).

قال أبوعبدالخالق: وقد مر نقلُ كلامِ المطريِّ قريبا.

وقال غازي التمام: «والخبر عن موقع جبل ثور متواتر إلى يومنا يتناقله أهل تلك الناحية؛ وهو جبل صغير أسمر اللون كأنه ثور ابيض ورأسه متجه صوب الجنوب الغربي. وهو آخر جبل على يمين الذاهب إلى الخُلَيْل، وبعده مباشرة مصب وادي النقمى بوادي الحمض».

(رسائل في آثار المدينة النبوية) ص (83).

فوائدُ زوائدُ

الفائدة الأولى:

اختلف أهل العلم في تحديد مكانه، وضبط موضعه على أربعة أقوال –كما ذكر التمّام في رسائله ص (79)–؛ وقال –بعد أن ذكر بعض الأقوال في ذلك: «أرجح الأقوال – والله أعلم – هو قول من يرى أن جبل ثور هو الجبل الصغير الأسود الذي يشبه الثور، وهو يقع شمال أُحد جانحا إلى يساره.

يقع في دلتا مصب النقمى مع وادي أضم (الحمض)، وهو آخر جبل على يمينك، قبل مجرى وادي النقمى على طريق الخليل (المؤدي إلى ثنية الحفيا وهي طريق العراق الشمالي)».

(رسائل في آثار المدينة النبوية) ص (10-11)، وينظر ص (79)، وص (82)، وص (83)، وص (84).

وقال علي حافظ: «جبل مستدير يصفه بعض المؤرخين (بأنه مثل الخيمة ولونه يميل إلى الحمرة)».

(فصول من تاريخ المدينة المنورة) حاشية ص (15).

وقال غازي التمام: «هو جبل صغير أسمر اللون كأنه ثور ابيض ورأسه متجه صوب الجنوب الغربي. وهو آخر جبل على يمين الذاهب إلى الخُلَيْل، وبعده مباشرة مصب وادي النقمى بوادي الحمض».

(رسائل في آثار المدينة النبوية) ص (83).

وذكر المؤرخ عاتق البلادي أنه في وادي (نقمى)، وهو وادٍ يمر شمال (أُحُد)، ويسمى اليوم بوادي (النقمي) بياء النسبة؛ ينظر: (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية) له ص (281).

وقال: «جبل شبيه بالبرث، أحمر، حائز بطرف وادي (النُّقَمى) من الجنوب، وشمال أحد عن قرب، تُكلم من أحدهما من في الآخر، بينهما طريق عُبِّد؛ ليكون مجنبا لغي ر المسلمين؛ لتحاشي مرورهم بالمدينة».

(معجم معالم الحجاز) (2/ 320).

وينظر: (فصول من تاريخ المدينة المنورة) حاشية ص (15).

وقال الدكتور سليمان الرحيلي –رحمه الله– في تعليقه على كتاب (التعريف) للمطري حاشية ص (182) : «وجبل ثور اليوم معروف تماما في الموقع الذي وصف المؤلف، وشمالي طريق الجامعات، عند مروره شمالي أحد، شمالي سوق الأغنام القائم هناك».

الفائدة الثانية:

وأما المسافة بينه وبين الحرم النبوي؛ فقد قال علي حافظ: «يبعد جبل ثور عن المسجد النبوي بنحو (8) كيلو مترات».

(فصول من تاريخ المدينة المنورة) ص (15).

لكنَّ عاتقا البلاديَّ قال في كتابه (معجم معالم الحجاز) (2/ 320) : «يبعد شمالي المدينة بحوالي (17) كيلا».

وقوله أقرب إلى الصواب من قول علي حافظ؛ لأنني قست المسافة بواسطة بعض المواقع المختصة بقياس المسافة عبر الشبكة؛ فأظهرت لي أن المسافة (14) كيلو مترا.

وينظر –للمزيد عن مكانه–: (المدينة المنورة: معالم وحضارة) ص (153)، و(تاريخ معالم المدينة المنورة: قديما وحديثا) ص (226)، و(فصول من تاريخ المدينة المنورة) ص (15).

الفائدة الثالثة:

زعم غيرُ واحد من أهل العلم أن البخاري أبهم اسم الجبل عمدا؛ فقال: من عير إلى جبل كذا؛ لأنه عَدَّ ذلك خطأً ووهما! وهذا غيرُ صحيحٍ، فالبخاريُّ لم يُبْهِمْهُ، وإنما الذي أبهمه: أحدُ الرواة! وإلا فالبخاري نفسُه قد أخرجه في موضع آخر وعَيَّنَهُ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: «وأما قول بن التين أن البخاري أبهم اسم الجبل عمدا؛ لأنه غلط = فهو غلط منه؛ بل إبهامه من بعض رواته؛ فقد أخرجه في (الجزية) فسماه، والله أعلم».

(فتح الباري) (4/ 83).

قال أبو عبدالخالق: قول الحافظ: « فقد أخرجه في (الجزية) فسماه». ذهول منه –عفا الله عنه–؛ وإلا فالرواية التي في كتاب (الجزية) جاءت مبهمةً كذلك؛ وإنما الرواية التي فيها التصريح باسمه جاءت في كتاب (الفرائض)؛ حديث رقم (6374).

الفائدة الرابعة:

وللفائدة: ذكر البلاديُّ في حاشية كتابه (معجم معالم الحجاز) (2/ 320) أن في كتابه (على طريق الهجرة) تفاصيلَ أدقَّ عن جبل (ثور)؛ فليراجعه من أراد الاستزادة.

الفائدة الخامسة:

ذكر عبدالجبار الرفاعي في كتابه (معجم ما كتب في الحج والزيارة والمعالم المشرفة في الحجاز) ص (89) أن لمحمد فؤاد لباني بحثا بعنوان (جبل ثور بالمدينة) نشره في مجلة (المنهل) بجدة، المجلد السادس عشر، الجزء الثاني (3/ 1375 ه/ 10. 11/ 1955 م) ص (54-57)، لكنني لم أقف عليه حتى الساعة، والله المستعان.

الفائدة السادسة:

في الصورة المرفقة: توضيح لغزوة الأحزاب؛ وفيها يظهر موضع جبل ثور ومكانه خلف جبل أحد؛ والصوة من كتاب (الأطلس التاريخي لسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم-) للدكتور لسامي المغلوث ص (175).



وآخر دعوايّ أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب: أبو عبدالخالق أشرف بن صابر.